الخيط الأسود
زهرة رفاس
من تقرأ تبدأ من جديد

الخيط الأسود
زهرة رفاس

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : رواية

المؤلفة: زهرة رفاس

غلاف الكتاب: منى وجيه

موك اب الكتاب: منى وجيه

تنسيق داخلي: سها منصور

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

"الصندوق"

كانت الجنازة باردة كأن السماء نفسها ترفض وداع الجدة سعدية، وقفتُ أمام قبرها، أحمل بين يدي وردة ذبلت قبل أن تلمس التراب، لم أبكِ، لم أكن قادرة على البكاء، هناك شيء ما، شيء أثقل من الحزن، كان يجلس على صدري منذ لحظة دخولي القرية، كنتُ قد غبتُ عنها لسنوات، فررت من هذا المكان، من تلك الجدة التي كانت تخيف حتى الفقهاء، لكن الوصية كانت واضحة:

-"يجب أن تعود رُبى وحدها."

وها أنا عدت بأمر موتها لا برغبتي، في الليلة الأولى بعد أن انصرف المعزّون

وتوقفت الهمسات عن ماضيها المظلم، صعدتُ إلى غرفتها، كل شيء ظل كما تركته؛ المرآة المغطاة بقطعة سوداء، السبحة المعلقة على رأس السرير، والنافذة التي لا تُفتح، لكن ما لفت انتباهي كان ذلك الصندوق الخشبي تحت السرير مغلّف بقماش أحمر قاتم، وعليه خيط أسود غليظ معقود بطريقة غريبة وكأن من عقده لم يكن بشريًا، مددتُ يدي نحوه، ترددت، شعرت برجفة صعدت من أسفل عمودي الفقري حتى مؤخرة رأسي لكني فتحته، الظلام في الغرفة ازداد، ليس الليل بل شيء أعمق، في الداخل وجدت ورقة مكتوبة بخط يد الجدة:

-"من فتح هذا الصندوق، وقع عليه السّطر."

وأسفل الورقة كان هناك شعر بشري جافّ ملفوف بخيط أسود، ومفتاح صدئ، لم أسمع صوتًا، لم أتحرك، لكن شيئًا في الزاوية كان ينظر إليّ.

الفصل الثاني

"في الزاوية"

لم أستطع الصراخ كأن صوتي هرب قبل أن يصل إلى حلقي، كل ما استطعت فعله هو أن أحدّق في تلك الزاوية، الظلام هناك كان مختلفًا، كثيفًا، حيًّا.

رأيت عيونًا، نعم عيون بشرية لكنها أعمق من أن تكون عادية، كانت تحدّق بي كما لو أنها تعرفني، كما لو أنها انتظرتني، تماسكت أو حاولت، أمسكت بالمفتاح الصدئ من داخل الصندوق وأغلقت الغطاء بسرعة، لكن الهمس لم يتوقف.

-"لم يكن يجب عليك فتحه"

-"روحي ليست نائمة"

-"السطر بدأ يُكتب بالدم"

هل هذه أصوات من رأسي؟ أم أن الجدة حتى بعد موتها لا تزال تهمس في جدران هذا البيت؟

هربت من الغرفة، ركضت إلى المطبخ أغسل وجهي، أتنفّس، أُقنع نفسي أني أتوهم، لكن على الحائط خلفي، بخطٍ مائل وبلون بنيّ داكن، كُتبت كلمات لم تكن هناك من قبل:

-"من يحل العقدة، يفتح الباب."

التفتُّ بسرعة، لا أحد، ورغم أن الباب كان مغلقًا، شعرت أن البيت تنفّس دفعة واحدة.

في الليل لم أستطع النوم، كل شيء صار غريبًا؛ الأبواب تفتح وتغلق وحدها،

الهـــواء رائحتـــه تشـــبه التُـــراب، والســـاعة توقفت تمامًا عند 03:17.

وفـــي حلمـــي رأيـــت الجـــدة ســـعدية واقفـــة قـــرب قبرهـــا المفتـــوح تبتســـم، لكنهـــا كانـــت تفتقد عيونها.

-"الخيط يا رُبى لا تقطعيه، إن قُطع عاد."

اســتيقظتُ وأنــا أصــرخ، كانــت يــدٌ مــا تمســك معصمي، لكن حين نظرت لم أجد أحدًا.

الفصل الثالث

"لا أحد هنا... سواك"

في الصباح كنت أشعر أنني لم أنم إطلاقًا؛ وجهي شاحب، عيوني محمرة، ويدي اليسرى عليها علامة كأن أحدًا ضغط على معصمي بقوة وترك بصمته، شكلها دائري كأنها خُتم، أول شيء فعلته هو العودة إلى الصندوق لكنه لم يكن كما تركته؛ الورقة اختفت، الشعر احترق، وبدل الخيط الأسود، وُجدت فيه خرزة زرقاء مشقوقة ومشط قديم ملي بشعر رمادي، كيف تغيّر؟ من دخل الغرفة؟ وهل أنا وحدي فعلاً؟

رنّ الهاتف الأرضي، رقم مجهول، رفعت السماعة وكل ما سمعتُه كان:

-"لا أحد هنا سواك."

ثم ضحكة تشبه ضحكة الجدة لكنها مجروحة كأن فيها نزيف.

أغلقت الخط، خرجت من المنزل ألهث، ذهبت إلى بيت غالية صديقتي الوحيدة في هذه القرية الميتة، حين فتحت الباب ورأتني شحُب وجهها وكأنها رأت شبحًا.

-"رُبى؟! لا لا لا مكانش لازم ترجعي!، فتحتِ الصندوق؟ جاوبيني فتحتِيه؟!"

هززت رأسي ببطء ودموعي بدأت تنزل، غالية أمسكت بيدي وسحبتني للداخل بسرعة، أغلقت كل النوافذ وأسقطت المرآة الصغيرة من على الحائط.

-"سمعي مليح، الجدة سعدية ما ماتتش كيما يقولو، ماتت روحها، بصح جسمها

بقـــات مربوطـــة بالســـطر، وهـــذاك الصـــندوق هو بداية الكارثة."

قلت لها: "ما هو هذا السطر؟"

ارتجفـــت ثـــم همســـت: "الســـطر هـــو اتفـــاق قـــديم بـــين الجـــدة واللـــي يعـــيش فـــي الطـــابق الســـفلي، اللـــي فـــي القـــاع، اللـــي مـــا يتسمّاش."

تجمـــد الـــدم فـــي عروقـــي، كنـــت علـــى وشـــك طـــرح ســـؤال آخـــر، لكـــن المصـــباح فوقنـــا بـــدأ يرفـــرف ثـــم انفجـــر، وفـــي الظـــلام ســـمعنا خطى تقترب.

الفصل الرابع

"من القاع"

غاليـــة أمســـكت بيـــدي بقـــوة، كانـــت يـــدها بـــاردة كأنهـــا مغموســـة فـــي الـــثلج، كنـــا نســـمع الخطـــى تقتـــرب شـــيئًا فشـــيئًا مـــن الممـــر المظلـــم لكنهـــا لـــم تكـــن كخطـــى بشـــرية، كـــان هنـــاك جـــرّ للأقـــدام كـــأن مـــن يقترب لا يملك عظامًا.

-"لا تنظـــري، مهمـــا حـــدث لا تنظـــري!" ...

صرخت غالية بصوت مرتجف.

لكننـــي لـــم أســـتطع المقاومـــة، التفـــتُّ، فـــي آخـــر الممـــر كـــان هنـــاك ظـــلٌ يتســـلّق الحـــائط بـــبطء، مقلـــوب، يمشـــي علـــى الســـقف، رأســـه معلـــق للأســـفل، وعينـــاه متوهجتـــان بلـــون أحمـــر كـــالجمر، وجهـــه لـــم يكـــن لـــه

ملامح، فقط فم مفتوح واسع، عميق، ينبض، سقطت على الأرض وبدأت أرتجف.

-"غالية، من هذا؟!"

-"هذا هو الساكن في القاع." ...قالت بصوت منخفض كأنها تعترف بجريمة قديمة: "الجدة سعدية مكانتش ساحرة فقط، كانت خادمة له، كتبت اسمه بالسطر، وربطته بالبيت، وبالدم، وبالنسل، وانتي آخر دم من نسلها."

أردت الصراخ، أردت الهرب لكن الظل صار خلفي، همس في أذني بصوت جدتي:

-"روحي فيك، وانتي فيي، الخيط لا ينقطع."

وفي تلك اللحظة بدأت جدران البيت تتنفس، نعم، كانت تتنفس كأنها جلدٌ

حـــي، وكـــل مـــرآة فيـــه بـــدأت تعكـــس وجهـــي، لكـــن لـــيس وجهـــي الآن بـــل وجهـــي وأنـــا ميتة.

ســـحبتني غاليـــة وفتحـــت بابًـــا خلفيًـــا صـــغيرًا جرّتنـــي منـــه إلـــى الحديقـــة، وحـــين خرجنـــا التفـــتُّ خلفـــي؛ البيـــت كـــان مظلمًـــا تمامًـــا، لكـــن فـــي النافـــذة العلويـــة رأيـــت الجـــدة سعدية تبتسم.

-"غالية، الجدة ماتت، صح؟"

-"الجـــدة؟ ماتـــت جســـديًا فقـــط، أمـــا روحهـــا؟ فهي الآن فيك."

الفصل الخامس

"النسل الملعون"

جلسنا في الحديقة الخلفية نلهث كأننا خرجنا من حفرة ضيقة داخل القبر، الليل كان ساكنًا لكن الهواء نفسه كان مشوّهًا كأنك تتنفس رمادًا لا هواء، غالية لم تتكلم في البداية، فقط جلست تحدّق في التراب ويديها ترتجفان.

-"غالية، قوليلي كل شيء، علاش أنا؟ علاش رجعت؟ علاش هو يطاردني؟"

أغمضت عينيها ثم قالت: "لأنك آخر حلقة في السلسلة، الجدة سعدية كانت أكثر من ساحرة، كانت خادمة لأحد أبناء العدم، هذا الكيان كان يعطيها القوة،

العمـــر، والهيبـــة، مقابـــل شـــيء بســـيط: دم من نسلها يُقدَّم كل 27سنة."

تراجعتُ للخلف.

-"شنو؟! تضحي بولادها؟ بأحفادها؟"

هزّت رأسها.

-"كلهم اختفوا حتى أمك مماتتش بحادث كما قالوا، كانت هي الدم الأخير قبل 27 سنة."

بدأت الدموع تنزل من عيني حارقة، كل شيء عشته، كل فقد، كل كابوس، كان له سبب.

-"والآن جاء دورك يا رُبى، الكيان عطشان، والسطر فُتح من جديد بعد ما فتحتي الصندوق، السطر ما هوش كلام، هو عقد مكتوب بحروف غير بشرية، ممدود بخيط من روح جدتك وروحك."

همست: "نقدر نقطع السطر؟"

غاليـــة نظـــرت لـــي بخـــوف: "نعـــم، لكـــن الـــثمن رهيـــب، لازم ترجعـــي للمكـــان اللـــي بـــدات فيـــه الجـــدة الســـطر: القبـــو المغلـــق فـــي بيتها."

ارتعـــش قلبـــي، ذلـــك البـــاب فـــي الطـــابق الســـفلي الـــذي لطالمـــا كانـــت تمنعنـــي مـــن الاقتراب منه حتى وأنا طفلة.

-"بـــس قبـــل هـــذا لازم تعرفـــي كـــل شـــيء، لازم تشـــوفي بعينـــك أول ضـــحية، بـــاش تفهمي شكون هي رُبى فعلاً."

الفصل السادس

"دم البداية"

غاليـــة أخـــذتني خـــارج القريـــة عبـــر ممـــر ضـــيق فـــي الغابـــة لا يســـلكه أحـــد؛ الأشـــجار كانـــت ميتـــة، الأوراق يابســـة تحـــت أقـــدامنا، والهواء بارد كأننا ندخل مقبرة.

-"هـذا المكـان مـا يعرفـوش غيـر اللـي حضـروا بداية السطر، وهنا سال أول دم."

وصـلنا إلـى كـوخ خشـبي قـديم، مائـل، كـأن الـريح علـى وشـك إسـقاطه، دخلنـاه بصـمت وغاليـــة أشـــعلت شـــمعة واحـــدة ووضـــعتها في منتصف الأرض.

-"قعدي هنا وركزي، ما تهربيش مهما شفتي."

جلســـت، ومـــا إن بـــدأت تهمـــس كلمـــات غريبـــة حتـــى تغيـــر كـــل شـــيء؛ الكـــوخ صـــار

أحمـــر، الشـــمعة تذبـــذب ضـــوءها، وصـــار الهـــواء ثقـــيلاً كمـــا لـــو أن الـــزمن عـــاد للـــوراء، ثـــم رأيـــتهم فـــي طـــرف الكـــوخ، كانـــت الجـــدة ســـعدية أصـــغر ســـنًا، عيناهـــا خاليتـــان مـــن الـــروح، وأمامهـــا طفلـــة فـــي الســـابعة مربوطـــة مـــن قـــدميها ويـــديها بخـــيط أســـود، تصـــرخ، تبكـــي، لكـــن لا أحـــد يسمع.

-"قُدمت هذه الطفلة باسم الكيان."

-"اسمها نائلة أخت أمك."

شهقت: "يعني عمّتي؟"

غالية أومأت.

-"كانـــت الأولـــى، الجـــدة اختارتهـــا لأنهـــا كانـــت ضـــعيفة، مطيعـــة، ولأنهـــا كانـــت تـــرى أحلامًا قبل أوانها."

فـــي المشـــهد رأيـــت الجـــدة تكتـــب شـــيئًا علـــى جبـــين الطفلـــة بحبـــر أســـود ثـــم تقطـــع خيطًـــا وتضعه في وعاء مليء بالدم.

-"بهذا بدأ السطر."

ثـــم كـــل شـــيء احتـــرق؛ الصـــورة، الصـــوت، الكوخ، واختنقت أنا وسط الدخان.

اســـتيقظت فـــي الخـــارج، كـــان الليـــل قـــد نـــزل، والكوخ اختفى.

-"غالية أنا ما نقدرش نكمل، أنا خائفة."

لكنهـــا أمســـكت يـــدي وقالـــت: "خـــافي قـــد مـــا تقـــدري، بصـــح تـــذكري: إذا مـــا قطعتِـــيش الخيط، راكي انتي التضحية الجاية."

نظـــرتُ للغابـــة خلفهـــا، وفـــي الظـــلال كانـــت الطفلة نائلة تحدّق بي.

الفصل السابع

"عالم السطر"

خطـــوتُ داخـــل البـــاب، فلـــم أجـــد أرضًـــا، ولا ســـقفًا، ولا جـــدرانًا، وجـــدتُ فراغًـــا حيًّـــا، الظـــلام فيـــه لـــيس غيـــاب الضـــوء بـــل كـــائن يتـــنفس، يلتـــفّ حولـــك، يهمـــس بأســـماءك القديمـــة، كنـــتُ أمشـــي دون أن أدري علـــى مـــاذا، تحـــت قـــدمي وجـــوه مدفونـــة فـــي الأرض بعضـــها يتحـــرك، بعضـــها يبكـــي، وبعضها يصرخ بصوتي أنا.

-"رُبى! ارجعي!"

-"مازلتي تقدري تقطعي الخيط، لكن مش من هنا!"

-"اركضي!"

لكـــن خطـــواتي تثقـــل شـــيئًا فشـــيئًا وكـــأن الأرض ترفضـــني، ثـــم رأيتـــه؛ كيـــانٌ بـــلا

شكل لكن له عيون كثيرة، عيون في كل الاتجاهات كلها تنظر لي، وكلها ترى داخلي.

-"أنتِ آخر السطر." ...قال بصوت لا يُسمع بالأذن بل داخل العقل: "لكن دمك لا يكفي، نحتاج الروح كاملة، نقية، مذعورة."

جثوت على ركبتي، شعرت أن شيئًا يمزق أعماقي، صوت أمي نادى عليّ فجأة ثم ظهر وجهها من بين الظلال.

-"هربتِ، تركتيني، خليتيني له، ادفعي ثمننا."

صرختُ: "أنا ما كنتش أعرف! أنا كنت طفلة!"

لكن الكيان اقترب، مدّ يده المكونة من خيوط سوداء ولفّها حول معصمي حيث لا تزال علامة الختم.

-"جاء وقت الحصاد."

وفي اللحظة التي شعرت فيها أن روحي تُنتزع، حدث شيء غير متوقّع، ظهر ضوء صغير لكنه قوي، كان قادمًا من قلادة كانت على عنقي، قلادة أمي.

الكيان تراجع، صرخ، تكسّرت العيون، وتقطّعت الخيوط، ثم سقطتُ، سقطت من عالم السطر إلى العدم وأنا أصرخ باسم أمي.

الفصل الثامن

"الوريثة الأولى"

استيقظتُ وأنا على الأرض لكن هذه الأرض ليست نفسها؛ السماء باهتة، البيوت أقدم، والناس غريبون، وجوههم بلا ملامح، نهضتُ ببطء أبحث عن شيء مألوف، وجدتُ نفسي أمام المنزل القديم للجدة لكنه لم يكن مهجورًا بل جديدًا ينبض بالحياة.

رأيت امرأة تخرج من الباب، كانت هي الجدة سعدية لكنها شابة في الثلاثين من عمرها تقريبًا، ترتدي فستانًا أبيض ملطخًا بالطين، وفي يدها كتاب أسود كبير عليه نفس علامة الختم التي على معصمي، تبعْتها، دخلتُ معها إلى بيتها

دون أن تراني كأنني شبح، كانت تتحرك بسرعة، تفتح صفحات الكتاب، تهمس بلغة لا أفهمها، ثم دخلت فتاة صغيرة عمرها لا يزيد عن عشر سنوات، نظرت للجدة بخوف وقالت:

-"ماما، أنا ما شفتوش في الحلم هاذ الليلة يمكن راح؟"

تجمّدت "ماما؟"، هل هذه أمّي؟

الجدة رفعت عينيها وقالت ببرود: "الكيان لا يرحل، هو ينتظر، وأنتِ خيط البداية."

رأيتُ أمي الصغيرة تبكي، رأيتُ كيف كانت الجدة تغرس الرعب فيها، تربّيها كـ "جسر"، لا كابنة، كيف كتبت أول صفحة في "السطر" بدم طفولتها، كل شيء صار واضحًا، اللّعنة بدأت من هنا

ثـــم توقّـــف الـــزمن، الجـــدة الشـــابة نظـــرت فجـــأة نـــاحيتي، نعـــم، نظـــرت نحـــوي أنـــا رغـــم أنني شبح، ابتسمت وقالت:

-"كنـــت نعـــرف، راكـــي تجـــي تشـــوفي، هـــذا هـــو ميراثـــك يـــا رُبـــى، تعرفـــي الســـر، وتـــدفعي الـــثمن، أنـــتِ الوريثـــة الأخيـــرة والأولى أيضًا."

الأرض انشـــقت مـــن تحتـــي ودوامـــة ســـوداء سحبتني، بينما صوت أمي يصرخ:

-"لا تكملي السطر! كسرّيه!"

الفصل التاسع

"عودة الناقصة"

فتحتُ عينيّ فجأة، كنت مستلقية على أرضية القبو، البرد يخترق عظامي، والظلام من حولي يئن، لكنني شعرت أنني لست كاملة كأن جزءًا مني بقي هناك في الزمن الآخر.

نهضت ببطء أنظر حولي؛ الباب الذي دخلت منه لا يزال مفتوحًا لكن لا شيء خلفه الآن سوى السواد الصامت.

وقفتُ أتنفس، أحاول تذكّر كل ما رأيته؛ الجدة، الكتاب، أمي، الكيان، ثم سمعت الخطى ناعمة، خفيفة، لكن كل خطوة كانت تضغط على صدري.

استدرتُ، وكانت هناك نائلة، طفلة بعينين واسعتين بلا بياض، شعرها مبلّل، وثوبها القديم تقطّع من أسفله، كانت تمشي دون أن تحرّك قدميها فعلاً كأنها تُسحب من خيط خفي.

-"رجعتي" ...قالتها بصوتٍ يشبه صوتي: "شفتي كل شيء؟"

لم أستطع الرد.

-"أنا اللي بدأوا بيا السطر، وأنا اللي نغلقو."

تقدّمت نائلة مني ومدّت يدها الصغيرة، وضعت على جبيني شيئًا باردًا، وعندما رفعت يدي وجدتُ نفس العلامة التي كانت تُرسم على الضحايا.

-"خـــذيها وادخلـــي للمحرقـــة، فـــي بـــاطن البيـــت تحـــت الأرض بـــابٌ أخيـــر الجـــدة مـــا وصلتوش لكنك لازم توصليه."

سألتها بصوت مرتجف: "وهل أنجو؟"

ابتســـمت نائلـــة ثـــم بـــدأت تختفـــي بـــبطء، تتلاشى كما يتلاشى الحلم قبل الصرخة.

-"لا أحد ينجو من السطر، لكن البعض يكسره."

الفصل العاشر

"المحرقة"

بقيت واقفة في القبو أنفاسي تتلاحق وعيناي على العلامة التي تركتها نائلة على جبيني لم تكن مجرد رمز بل مفتاح، جدران القبو بدأت تتشقّق من تلقاء نفسها كأن الجدران تخجل من إخفاء الحقيقة، ظهر ممر ضيق تحته سلم حجري يقود إلى أعماق لا تصلها الشمس ولا الذاكرة.

نزلتُ، كل خطوة كانت تبعدني عن عالمي، وتقرّبني من عالمهم؛ الهواء صار أقدم ممتلئًا بروائح تشبه الرماد والعظام، سمعت صرخات قديمة كأن الجدران نفسها تحفظ ذاكرة الضحايا ثم

وصلت، باب حديدي ضخم عليه رموز محفورة من الخارج، نفس الرموز التي رأيتها على وجه الجدة في الرؤية، وفي وسطه فتحة على شكل العلامة التي على جبيني، تقدّمت وضعت جبيني على الباب، توهّجت العلامة بلون رمادي مخيف ثم سُمع صرير، الباب انفتح، وما خلفه لم يكن عالمًا بل كان مكانًا بلا زمن، أرض سوداء من رماد، سماء مكسورة فيها شقوق تنزل منها صرخات لا تُرى، وفي منتصفه موضوعٌ على صخرة سوداء، كان هو "الكتاب الأسود."

اقتربتُ ببطء، الكتاب بدا حيًّا ينبض، غلافه يتنفس كجلد ميت، والحروف

عليه تتحرك كدود يخرج من بين الجروح، مددتُ يدي.

-"هل أنتِ مستعدّة لتقرئي السطر الأخير؟" ...همس صوت داخلي ربما الكيان، أو الجدة، أو حتى نائلة.

لم أجب، فتحت الكتاب، في الصفحة الأولى وُجدت جملة واحدة مكتوبة بدم:

-"التي تفتح الصفحة الأخيرة تختفي من كل الصفحات الأخرى."

الفصل الحادي عشر

"صفحات محرمة"

صفحة ثم أخرى، والدم يسيل من أطراف أصابعي كلما قلّبتُ الأوراق، كأن الكتاب لا يُقرأ إلا بدم من يجرؤ على فتحه، الفصل الأول كان بعنوان:

-"دم الأب، مفتاح الباب."

رأيتُ صورة ظلالية داخل الصفحة، رجل يصرخ، يُسحب من عنقه إلى الأرض، ورأسه يُدفن حيًّا.

تحسست وجهي وشعرت بشيء يتحرك تحت جلدي، ثم اختفى.

قلبت الصفحة الثانية.

-"حين ينام الطفل في قبر الأم تقوم العظام."

وسمعت صوت صرخة طفلة، نائلة؟

نظرت خلفي، لا أحد.

الصفحة الثالثة كانت فارغة لكن حين لمستها كُتب عليها شيء بيدي دون أن أكتب:

-"روحي ليست لي، إنما استعارتها السطر."

بدأ رأسي يدور، الكتاب يسرقني ببطء، يمزّق ذكرياتي، يشوّه وجهي، يبدّل صوتي، ثم جاءت الصفحة الأخيرة سوداء تمامًا لا كلمات، لكن حين لامستُها رأيتُ نفسي، نعم، رأيتُ رُبى مربوطة بخيط أسود نفس الوضعية التي كانت فيها نائلة، وفي الأعلى الجدة واقفة، لكن خلفها يقف الكيان بجناحين من دخان، وعيون لا تُعد.

-"هذه هي نهايتك، إلا إن كنتِ قادرة على تمزيق السطر."

ثـــم أمـــامي ظهـــرت خيـــوط ســـوداء كثيـــرة تخـــرج مـــن صـــدري وتتجـــه إلـــى الكتـــاب كـــأن روحي مربوطة به، وفجأة صوت غالية.

-"رُبـــــى! اســـــمعيني! لا تكملـــــي القـــــراءة!، اقطعي الخيط! الآن!"

نظـــرت إلـــى الأرض، كـــان هنـــاك ســـكين صـــغير شـــبيه بـــذلك الـــذي كانـــت أمـــي تحملـــه فـــي صـــور الطفولـــة، أمســـكته، يـــداي ترتجفـــان لكننـــي رفعـــت الســـكين وقطعـــت أول خـــيط، الكتـــاب صـــرخ، صـــفارات، بكـــاء، دمـــوع كـــأن كائنًـــا كـــاملاً يمـــوت بداخله ثم انفجر الضوء وسقطتُ مجددًا.

الفصل الثانى عشر

"ما بعد الموت"

استيقظتُ وأنا أتنفّس، لكن لم يكن هناك هواء، فتحت عيني فوجدت السماء بلونٍ رمادي، الشمس سوداء، والأصوات، صمت ناطق، وقفتُ أنظر حولي، كل شيء بدا مثل العالم الذي أعرفه لكنه بلا حياة؛ الناس تمشِي لكن لا يتحدثون، البيوت موجودة لكن بلا نوافذ، والأرض تئن تحت أقدامي.

-"أهذا هو الموت؟"

جاءني الصوت من الخلف: "لا، بل هذا هو ما بعد الموت، العالم الذي تُحبَس فيه الأرواح التي لم تكسر السطر، ولم تتم التضحية بها."

استدرتُ وكانت تقف هناك أمي، لكنها لم تكن كما عرفتها، كانت مشرقة، عيناها مملوءتان نورًا رماديًا غريبًا، وصوتها هادئ مثل الحنين.

-"رُبى، أنا هنا منذ أن قدّمتني أمّي قربانًا، وكل من ماتوا من نسل سعدية عالقون هنا."

نظرتُ حولي، رأيت نائلة وأناسًا آخرين بوجوه تشبهني، كلهم ضحايا.

-"السطر لم يكن كتابًا فقط بل بابًا بين عالمنا وعالمهم، وكل من لم يُكمل الطقوس، أو من هرب، جاء إلى هنا."

ركضت نحو أمي.

-"أنا قطعت الخيط ماما، قطعتو! وش بقى ندير؟"

لمست وجهي برفق وقالت: "بقي أن تكتبي السطر الأخير بيدك، إن كتبتيه ستُغلق البوابة إلى الأبد، لكنك لن تعودي، وإن تركتيه فارغًا سيُعيد السطر نفسه في جيل جديد."

نظرتُ إلى يدي، فوجدت القلم، أمسكته، صفحة أخيرة ظهرت في الهواء معلقة تنتظر كلمة واحدة، تردّدت ثم كتبت:

-"أنا آخر الخيط."

وفي لحظة صرخة عظيمة شقّت السماء، انطفأت الشمس السوداء، وتلاشى العالم حولي.

الفصل الثالث عشر

"آخر الخيط"

عندما كتبت تلك الكلمات "أنا آخر الخيط"، شعرت وكأن روحي احترقت دفعة واحدة، كل شيء حولي بدأ ينهار؛ العالم الرمادي يتفتت كزجاج هش، والوجوه التي كانت تراقبني بدأت تبتسم، نائلة اقتربت همست بصوت خافت:

-"شكراً، روحي حرة الآن."

ثم اختفت كدخان يذوب في النور، أمي مدت يدها نحوي، لمست قلبي وقالت:

-"سيُكتب في هذا المكان أن فتاة من نسل الظلمة اختارت النور وماتت واقفة."

احتضنتها بقوة ثم شعرت بجسدها يذوب بين ذراعي، اختفت أمي، وبقيت أنا في صمت تام داخل آخر فراغ في العالم، أمام الكتاب الأسود وهو يحترق.

استيقظتُ، نعم استيقظت على سرير في منزل غالية، كانت تنظر إليّ والدموع تملأ عينيها.

-"رُبى؟! يا ربّي، حسبتك متِّ."

نهضتُ ببطء، جسدي كان خفيفًا، وقلبي فارغًا، لكن في داخلي كنت أعرف أن السطر انكسر.

ذهبت إلى بيت الجدة كان محترقًا، القبو اختفى، والصندوق لم يعد موجودًا، لكنني وجدت في مكانه ورقة محترقة، كتب عليها بالدم:

-"الخيط انقطع، لكن من يذكره يربطه من جديد."

وفي آخر مشهد جلستُ أكتب، أسجل حكايتي، أخطّ كل التفاصيل حتى لا يُفتح السطر مجددًا، لكن قبل أن أغلق الدفتر وقعت عيني على خيط أسود دقيق جدًا يخرج من حافة الطاولة، ويمتد نحو الباب.

الفصل الرابع عشر

"النهاية ليست لى"

تلـــك الليلـــة كنـــت أظـــن أننـــي نجـــوت، أن الســـطر انكســـر، وأن المـــوت اختـــار غيـــري هـــذه المـــرة، لكـــن الخـــيط لا يُقطـــع بـــل يعـــود لمـــن بـــدأه، رأيـــت الخـــيط الأســـود يمتـــد مـــن الطاولـــة إلـــى البـــاب، اتبعتـــه بـــلا وعـــي كـــأن شـــيئًا داخلـــي يتحـــرك بـــدلًا منـــي، وصـــلتُ إلـــى ركـــن مظلـــم فـــي الطـــابق الســـفلي مـــن بيـــت الجـــدة المحتـــرق، وهنـــاك وجـــدت صـــندوقًا خشـــبيًا ضـــخمًا لـــم أره مـــن قبـــل، كـــان مغطـــى بقطعـــة قمـــاش حمـــراء تفـــوح منهـــا رائحـــة الحديـــد والرمـــاد، ســـحبت الغطـــاء بـــبطء، داخلـــه ســـكين كبيـــر، ثقيـــل، لونـــه مائـــل إلـــى الأزرق الغـــامق، ونقـــوش

عليه تشبه تلك التي كانت على جسد نائلة، حاولت التراجع لكنه ارتفع من تلقاء نفسه ثم فجأة اندفع نحوي وشق بطني من الكلية إلى الكلية، شعرت بجلدي يُمزق، بالحرارة تخرج، بدمٍ لا يتوقف، أمعائي تدفقت أمامي ولم أصرخ، فقط نظرت للغرفة الباردة وأنا أودّعها، رفعت رأسي نحو السقف، فرأيت ظلًا ينزل ببطء، وجهه مغطى بشعر أبيض محترق، ثم سُمِع صوت، نفس الصوت الذي همس لي أول مرة وأنا طفلة.

-"لم أرد تركك يا حبيبتي، سآخذك معي بعد أن رأيتِ السر، السر لا يُرى مجانًا."

همست بصوت خافت: "من؟"

فأجابتني هي، كانت الجدة سعدية، وجهها مكسور، عيناها سوداء تمامًا، وعلى لسانها خيط دم يقطر.

-"أنا اللي كتبت السطر، وأنا اللي نحيت روحي باش يكمل، وانتِ؟ كنتِ النهاية."

اقتربت، ضمتني وهي أُحتضِر، وغرزت الخيط الأسود داخل فمي.

-"اللعنة تحتاج قلبًا جديدًا، والآن صرتِ أنتِ السطر."

بعد أسبوع جاءت غالية تبحث عني، لم تجد شيئًا، لا جثة، لا صندوق، لا كتاب، لكنها وجدت دفترًا مفتوحًا عليه عبارة واحدة بخطٍ جديد:

-"من تقرأ تبدأ من جديد."

وفي طرف الصفحة خيط أسود رفيع ما زال ينبض.